إفراز المقاطع الصوتية للبنى الدّلالية

* سورة النّجم أنموذجا *

ط/د.نجيم ساته د/ بن دحمان عبد الرزاق

جامعة بسكرة

الملخص :

يصبو البحث إلى بيان المفاهيم المترامية المرصودة للمقطع الصوتي على اختلاف أنواعه والّتي جعلت منه إحداثية معينة خارج المدرج الصوت، وبما أنّ محكم التّنزيل ضرب من الإيقاع المنزه عن تمييع حدود المقاطع الصوتية، أو إحداث فجوات في الإركامات الصوتية كان أي -القرآن الكريم - فضاء رحبا للممارسات التطبيقية المنوطة بظلال الدّلالة؛ وقد وقع البحث على سورة النّجم باعتبارها صرحا للمشاهد الدّالة على المماراة، ووصف الجزاء واللطف الرّباني...، كما توخى إمكانية المقطع الصوتي في اختراق البؤر الدّلالية لسورة النّجم وإنضاح لبابها، كلّ ذلك تمّ تطارحه وفق آليات المنهج الوصفي المشدود بالإجراء الإحصائي وقد توصل البحث إلى جملة نتائج من أهما: تأكيد فرضية التّناسب الطردي بين المقاطع الصوتية وظلالها الدّلالية.

الكلمات المفتاحية: الصوت - المقطع الصوتي – التّشكيل المقطعي – الظلال الدّلالية – وميض التّصوير –

Abstract:

The search seeks to illustrate the vast concepts of acoustical passage of different types, which made from it a coordinate outside the vocal scale , and since the Holy Koran is full of impeccable rhythms, it is considered as a wide space for applied practices mingled with significance shadows.

Al –Najem verse is chosen because it is full of scenes that describe repayment and kindness of the Lord ..., and also treated the possibility of acoustical passage in penetrating the significance items of Al-Najm verse, All of these have been discussed on depending on mechanisms of Descriptive approach supported with statistical procedure .The research has reached a number of results: confirming the hypothesis of extreme proportion between the acoustical passages and their significance shadows.

Keywords: sound–acoustic passage - prosody - significance shadows - flash photography

مقدمة:

أدرك الإنسان منذ الأزل أنّ وجوده واستمراره رهين بأداء لغوي يكفك انشغالاته ويعزه في الخطاب، لذا راح يتأمل لغته، يحلّل رموزها ويرنو إلى أصواتها " وأقدم دراسة لغوية حُفظت إلى يومنا هذا ما قام به **Panini** في الهند قبل أكثر من ألفين وخمسمائة سنة، وكان من أهم ما احتوته تلك الدراسة هو ذكر مخارج الأصوات وتأثر بعضها ببعض، ثمّ ظهرت المحاولات الأولى لوضع تفسير للعلاقة بين الاسم ومعناه على يد فلاسفة اليونان أمثال أفلاطون وأرسطو قبل أكثر من ألفيت وثلاثمائة سنة "[1].

إنّ العناية البالغة الّتي خصّها الأقدمون للصّوت اللّغوي تحديدا، دليل على مدى فاعليّته وعميق صداه وكأنّ الأولين وعوا مبكرا فحوى مقولة " ما الإنسان لولا اللّسان"[2].

وعليه يعد الصوت اللّغوي حلقة غير منتهية المسار، وهو كذلك مادة خام للّغة كلما كُرّرت احتاجت إلى إعادة التّكرير، ومن هذا المنطلق ألحّ علماء اللّغة على تبوء الصوت قمة الدّراسات اللّغوية، كون اللّغة أصواتا ذات تقعيدات صوتية، ودلالية، ونحوية ...، عرّفها **ابن جنّي** على أنّها " أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم "[3].

وتجدر الإشارة إلى أنّ الدّراسة الصوتية العربية قد بلغت شأوا عظيما في رحاب الزّخم الفكري الّذي أحدثه نزول القرآن الكريم، ثمّ إنّ اهتمام العرب – منذ ظهور الإسلام- بالدّراسة الصوتية

كان نظير الحفاظ على القرآن الكريم من التّحريف والتّغيير؛ وحتّى لا ينضب معينه وتزداد من جهة أخرى أبعاده الرؤيوية والتأويلية؟!، فالدّراسة الصوتية إذًا هي القاعدة الأساس في أي عمل متواشج بالجانب الصوتي، فالصوت هو المعول الرئيس في تصنيف مخارج الأصوات، والوقوف على مختلف المقاطع الّتي هي وتد دراستنا، فقد لاحظنا في مواضع جِمَامٍ إفراز المقاطع الصوتية لدلالات بهرت العقل وشحذت النّفوس، كما أنّ أي مقطع صوتي في اللّغة العربية يمكن ملاحظة ارتباطه بوظائف ودلالات معينة، وقد تبيّن علماء اللّغة أنّ من بين أهم وظائف المقطع الصوتي تمييز أصيل اللّغة من دخيلها، ويتعدى ذلك إلى مواطن النّبر، والتّنغيم، وهما ظاهرتان صوتيتان لهما دور فعّال في اكتناه ظلال الدّلالة.

فهل لنا بعد الذّي تمّ تطارحه أن نقر بقدرة المقاطع الصوتية على إفراز البنى الدّلالية؟، وهل بإمكان المقطع الصوتي على اختلاف أنواعه اختراق البؤر الدّلالية لسورة النّجم وإنضاح معانيها وإلباسها حلة جديدة؟!. هل يمكن اعتبار المقطع الصوتي ابنا بارا في خدمة المعاني الرّبانية؟، فكلّ هذه الاستفهامات تمّ تطارحها وفق المنهج الوصفي القائم على آليات الاستقراء والتّحليل، والمشدود بالإجراء الإحصائي، كما اقتضى البحث أيضا التّعريج على المقطع الصوتي من حيث المفهوم، والأنواع، والخصائص، وكذا اكتناه أثير ظلاله الدّلالية من خلال آيات سورة النّجم.

1. مفاهيم تقعيدية للمقطع الصوتي:

إن اختلاف اللّغات، وتعدد الأداء اللّغوي للّغة الواحدة جعل الرّكون إلى مفهوم موحد للمقطع الصوتي أمرا مستعصيا، وذلك نظير ارتباط اللّغات بفعل الكتابة الّذي يغور بالحدود الفاصلة بين المقاطع الصوتية في معظم التّجسيمات الكتابية، خاصة تلك الّتي تتقارب فيها المقاطع مخرجا، وصوتا، وغنة؟؟.

والواقع أنّ فحوى النّحت الاصطلاحي للمقطع الصوتي قد تخلق في عدة أرحام منها الرّحم الصوتي المحض الرّحم الوظيفي ... .

ولعلّ نَبْطَ دلالة المقطع الصوتي ينضحُ في تلافيف المعاجم اللّغوية باعتبارها الخطوة الأولى في إسدال السّتار عن مختلف الظواهر اللّغوية.

1.1 مفهوم المقطع لغة:

ورد في لسنان العرب " المقطع هو غاية القطع، وأنه موضع للقطع ومقطعات الشيء طرائقه الّتي يتحلل إليها، ويتركب منها، ومقطع كلّ شيء آخره وتقطيع الشعر وزنه بأجزاء العروض، وتجزئته بالأفعال"[4].

يتضح من خلال هذه الإشارة الوجيزة أنّ المقطع هو مكان القطع الكائن بين الوحدات الّتي يتشكل منها الكلام .

2.1 المقطع في الاتجاه الصوتي المحض PHONETIC ASPECT:

لم يستقر المقطع الصوتي ضمن هذا الاتجاه على مفهوم واحد فقد انقسم المفكرون في بيان لبابه إلى طرائق قددا، منهم من شرح لبناته – أي المقطع الصوتي- انطلاقا من الجانب الفسيولوجيPHYSIOLOGICAL فعدّه "خفقة صدرية على أساس أنّ الإنسان عند النطق قد يشعر بنوع من الضغط، أو التّأكيد عند النطق

بالمقطع "[5] متفردا، أمّا إذا اتصلت لبنات المقاطع الصوتية فإنّ الوقوف على الخفقة الصدرية أمر يصعب تحقيقه.

رأى فريق آخر أنّ أدراك غرو المقطع الصوتي يتجلى في " الجانب السمعي للكلام"[6] باعتباره الجانب الوحيد المستقطب لواقع الحركات المنبثقة من المقطع الصوتي عند النطق به " والحركة كما هو مقرر معروف تمثل قمة الوضوح السمعي بالنسبة لسائر الأصوات"[7].

وعلى دقة الجانب السّمعي في فرز المقاطع الصوتية، يبقى تحديدها إشكالا عالقا إذ ألفينا بعض اللّغات تحوي مقاطع صوتية منصرمة من الحركة تماما؟!.

يروم المفكر **روديه Rody** توحيد الجهود المنصبة في دراسة المقطع الصوتي وفق الآليات المتفرعة عن الاتجاه الصوتي المحض، فهو يرى في " الانتقال من مقطع إلى مقطع تغَيُّر مفاجئ يُصيب كلا من الجهاز التّنفسي والحركة النطقيّة والإدراك السمعي، هذا التغيُّر الثلاثي يسمح في بعض الأحوال بتعيين حدود المقاطع ويكون التقسيم تحكيما في أحوال كثير أخرى لذا يكون من العبث أن نسعى إلى تحديده، كما لو أردنا أن نحدّد النقطة التي توجد عند قاع واد يقع بين جبلين"[8].

ينوه روديه إلى أنّ المعالم المحددة للمقاطع الصوتية وهي (الجهاز التّنفسي، الحركة النطقيّة، الإدراك السمعي) تشتغل دفعة واحدة، فأي دراسة تبتغي جدع أحد هذه الأقطاب الثلاثة ستؤدي إلى تداخل حدود المقاطع الصوتية، والّتي من مضاعفاتها لجلجة الإركامات الصوتية وتشويه البنى الدّلالية؟!.

كذلك رام فريق ثالث بيان حدّ المقطع الصوتي فكارز إلى " الجانب الأكوستيكي ACOUSTIC(...)

وذلك بالاعتماد على ما يحدثه نطق المقطع من ذبذبات ذات سمات خاصة في الهواء"[9].

ويبدو أنّ الجانب الأكوستيكي ليس ذا بال كبير في تحديد ماهية المقطع حيث يصعب إن لم يستحل فرز الذّبذبات المتواشجة في الهواء، وهذا يعني بشكل أو بآخر تمييع حدود المقطع الصوتي وجعل مجاله أكثر هلامي؟!.

وبالقرب من محاولة رواد الاتجاه الصوتي المحض الّتي زادت في تشفير بنية المقطع الصوتي ألفينا الدكتور **كمال بشر** يلهج معرّفا المقطع الصوتي " إنّ المقطع من حيث بناؤه المثالي أو النموذجي أكبر من الصوت sound وأصغر من الكلمة "[10]؟؟.

3.1 المقطع الصوتي في الاتجاه الوظيفي:

لا يخفى على دارس هذا المضمار الصوتي أنّ منطلقات الدّراسة تكاد تكون واحدة، فما من اتجاه رام جلوة المقطع الصوتي إلاّ وكان نَبْطُ الدّلالة الصوتية لبنته الأولى، وهذا ما ارتكز عليه الاتجاه الوظيفي أثناء نحته لمفهوم المقطع الصوتي إذ اعتبره " تتابعا صوتيا من الجوامد (الصوامت) والذوائب (المصوتات)، ويتكون عادة من (حركة) تعتبر نواة المقطع، يحوطها بعض الجوامد، ولكل لغة قواعدها الخاصة بتجميع الوحدات الصوتية في المقطع"[11].

إنّ اختلاف اللّغات رهين بتعدد المقاطع الصوتية من حيث المفهوم، والحركة، والتقولب؟! مما جعل المفاهيم الّتي رُصدت للمقطع الصوتي تندّ التقعيد الشّامل، فستحال في نهاية المطاف العثور على

مفهوم جامع مانع للمقطع الصوتي، وهذا ما هال عالم اللّغة الكبير جوزيف فندريس **Joseph Vendryes**إلى القول " إنّ تعريف المقطع أمر عسير"[12]؟؟ !!.

وعلى خلاف هذه السفسطة الفندريسية الّتي لا يعبا بها أحد ولا ينبغي له أن يعبأ نجد المفكر جان كانتينو **j. cantineau** يتعاطى جوهر المقطع الصوتي بدراسة جدية تجلت في نبرات قوله:" إنّ الفترة الفاصلة بين عمليّتين من عمليات غلق جهاز التصويت سواء أكان الغلق كاملا أو جزئيا هي الّتي تمثل المقطع"[13].

قامت الدكتورة **صباح عطيوي عبود** بتوضيح عمليات إنتاج المقاطع الصوتية وفق صنيع كانتينو فأفردتها برسم بياني كان كالآتي:

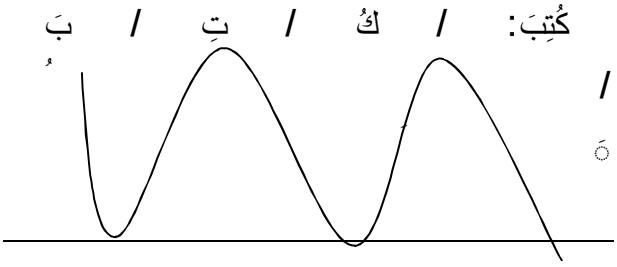

وبعد حدّ المقاطع الصوتية بالرّسم البياني تبيّن للدكتورة **صباح عطيوي** أنّ المصوتات تحتل " الأعالي أو القمم وهي انفتاحات بلا ريب وتحتلّ الصوامت القواعد، وهي الانغلاقات الكاملة أو الجزئية كما يقول ومن هذا الرّسم يظهر أنّ الفترة الفاصلة بين عمليتي غلق جهاز التصويت تمثل المصوّتات فقط، لأنّ الانغلاقات تمثل الصوامت وبما أنّ هذه الفترة هي التي تمثل المقطع، فهو قد اقتصر على المصوّتات وأخرج الصوامت، فهو تعريف غير مكتمل، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فأنّ المقطع المفتوح في الوقف مثل (نما) نَ/ مَ / لا يقع بين انغلاقين"[14].

تجدر الإشارة إلى أنّ التّقعيد للمقطع الصوتي دال بين مفكري العرب والغرب، وللعرب جهودهم الجمة في هذا المضمار الصوتي من ذلك محاولة الدّكتور **عبد الصابور شاهين** الّذي أبلج مفهوم المقطع الصوتي على أنّه " مزيج من صامت وحركة، يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها، ويعتمد على الإيقاع التنفسي "[15] فيكوّن بوتقة يُدملج فيها الجانب الصوتي المحض والجانب الوظيفي للمقطع الصوتي، وذلك في إطار التخصيص اللّغوي.

كما جثا الدّكتور **حسام النعيمي** لجلوة المقطع الصوتي بقوله:" هو وحدة صوتية تبدأ بصامت يتبعه صائت وتنتهي قبل أول صامت يرد متبوعا بصائت، حيث تنتهي السلسلة المنطوقة قبل مجيء القيد"[16].

لامس هذا المفهوم جوهر المقطع الصوتي في اللّغة العربية غير أنّ تماهيه في تتبع رونق العبارات جعل منه نوعا منه التمييع " فعبارة ((وتنتهي قبا أول صامت يرد متبوعا بصائت)) يمكن أن يغنى عنها صدر التعريف ((تبدأ بصامت يتبعه صائت))، ولو أشار التعريف إلى أنّ الصائت قد يأتي متبوعا بصامت أو صامتين لأعطى ذلك وضوحا أكثر "[17].

2. أنواع المقطع الصوتي:

تنقسم المقاطع الصوتية تبعا لتباين دفعات الهواء المنبعثة من الرئتين، حيث يتّم الضغط عليها بواسطة الحجاب الحاجز الّذي يقو باعتراض مسار الشحنات الهوائية، أو سدّ مسارها إذ " أنّ ضغط الهواء يتفاوت من جزء من

أجزاء الحدث اللغوي إلى جزء آخر، و يمكن تشبيه ما يحدث بخروج الهواء من بالونة منتفخة منتهية بمزمار، ولو تركت البالونة وشأنها لخرج الهواء مستمرا وبقوة ثابتة، أما لو ضغطت يد الطفل عليها ضغطات متوالية فإنّ قوة خروج الهواء ستختلف"[18]عما كانت عليه قبل الضغط، كما أنّ عملية الضغط على البالونة ليست واحدة في كلّ الحالات إذ المعول الزّمني فارق مفصلي بين ضغطة وأخرى، وهذا الحدث شبيه بعملية إنتاج الكلام " حيث يقوم الحجاب الحاجز بالدور الذي تقوم به يد الصبي من إحداث ضغطات متوالية تمثل كل منها جزءا ماديا هو الذي نسميه المقطع "[19].

يطول بنا المقام إذا وقفنا على أنواع المقاطع الصوتية المتعددة بتمايز اللّغات، لذا فإنّ الدّراسة ستتضلع أنواع المقاطع الصوتية المبثوثة في اللّغة العربية، وقد حرص الدّكتور **إبراهيم أنيس** على عدّها فوجدها ثلاثة أشكال من نوع " (س ع ع) و (س ع) و(س ع س) هي المقاطع الشائعة في اللغة العربية، وهي التي تكوّن الكثرة الغالبة من الكلام العربي"[20]، وضمن مجرى المقطع الصوتي ميّز الدّكتور **أحمد مختار عمر** " خمسة أشكال أساسية من المقاطع في اللغة العربية هي: س ع. س ع س . س ع ع . س ع ع س . س ع س س"[21].

وبيانها في الآتي:

2.1 المقطع القصير: هو الذّي يتكون من صامت+ صائت قصير، ويرمز له (0l)

2.2 المقطع المتوسط: وهو ذو نمطين:

أ. متوسط مغلق: يتكون من صوت صامت + حركة قصيرة + صوت صامت، ويرمز له بالرّمز (l00).

ب. متوسط مفتوح: يتكون من صوت صامت + حركة طويلة، ويرمز له بالرّمز (ll0).

3.2 المقطع الطويل: ويتكون من نمطين:

الأول: يتألف من صوت صامت + حركة طويلة + صوت صامت، ويرمز له بالرّمز (ll00).

والثاني: يحوي صوت صامت + حركة قصيرة + صوت صامت + صوت صامت، ورمز له بالرّمز (l000).

3. ضوابط ومميزات المقطع الصوتي في اللّغة العربية :

أما عن ضوابط المقاطع الصوتية وكيفية اشتغالها فإنّ علماء اللّغة العربية قعّدوا لهذا النسيج الصوتي أصولا تكاد تكون موحدة، أو محلّ اتفاق، إذ تواءموا على أنّ المقطع الصوتي في اللّغة العربية إما يبدأ بصوت صامت أو نصف صائت، ويتبع الصائت الصامت الّذي يشكّل بداية المقطع ولا يمكن أبدا بدء " المقطع الصوتي العربي بصامتين "[22]، أو صوت صائت ولا يجوز أيضا تشكيل المقطع الصوتي من الصوامت فقط، كما أنّ " توالي المقاطع من النّوع الأول أو من النوع الثالث جائز مستساغ في الكلام العربي، وإن كانت اللّغة العربية في تطورها تميل إلى التخلص من توالي النّوع الأول. أما توالي النوع الثاني فهو مقيد غير مألوف في الكلام العربي، ولا يسمح الكلام العربي بتوالي أكثر من اثنين من هذا النوع"[23]، أمّا عن المقطع الرابع والخامس فإنّ موضعهما ملازم لـ" أواخر الكلمات وحين الوقف "[24] ، وستتكفل الدّراسة

التطبيقية ببيان الأمثلة التّوضيحية بغية إزالة اللّبس.

4. اكتناه المقاطع الصوتية للظّلال الدّلالية في سورة النّجم :

لقد بيّن اللّغويون أهمّ وظائف المقطع الصوتي في اللّغة العربية، والتّي من بينها تمييز الأصيل من الدخيل في اللّغة، وكذا تجلية المعاني وجلوة الصور، وبناء على ذلك سنحاول تصنيف المقاطع الصوتية التّي استلهمها القرآن الكريم في سورة النّجم من خلال آيات يقترحها التّحليل الإحصائي الوصفي، وذلك بالاعتماد على أبرز التّفاسير للآيات محلّ التّحليل كي يتسنّ لنا ربط أشكال المقاطع الصوتية بالسّياق الواردة فيه، ومحاولة استقرائها وإزالة السّتار عنها.

1.4 المقاطع الدّالة على التّهديد والوعيد:

من الآيات الكريمة الّتي تمثّلت التّهديد الإلهي والوعيد قوله عزّ وجلّ :

" فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا، وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا " النّجم – 29- .

تضمنت هذه الآية استئناف بياني، لأنّ الأمر بالتّولي وشيج بوعيد مجلجل " من شأنه أن يثير في نفس السّامع تساؤلا عن مجمل هذا الوعي"[25]، وبشيء من الانتباه يتبين لنا التّشكيل المقطعي الصوتي لهذه الآية كالآتي:

فَ – أَعْ – رِضْ – عَمْ – مَنْ – تَ – وَلْ – لَى – عَنْ – ذِكْ – رِ – نَا- وَ – لَمْ – يُ – رِدْ – إِلْ – لَلْ – حَ – يَا – تَدْ – دُنْ – يَا-.

جدول رقم 01: إحصاء وتوزيع المقاطع الصوتية على أنماطها

المقطع الصوتي	l0	l00	ll0
1. عدد تواتره	06	14	03

نتلمّس في هذه الآية حكما معمما – كل من تولى عن ذكر الله – فهو وعيد يبعث في النّفس رهابا وإنذارا حملته الآية الكريمة طيّ مقاطعها المتراوحة بين القصيرة المفتوحة: فَ – تَ-حَ... (حيث لازمت معاني تخدم العقيدة الرّبانية في أغلب الأحيان مثل: التّهديد، والوعيد)، والمقاطع المتوسطة المغلقة: **عَنْ – مَنْ – رِضْ** ... الّتي زادتها قوة " ليشعر المتلقي بصوت النون يرن بغنته وصفته المجهورة "[26]، ومما زاد في روعة هذه المقاطع الصوتية هو استخدام سورة النّجم للصوامت الانفجارية الشّديدة كما في المقاطع التّالية: - **تَدْ – دَنْ** – والّتي تحمل بين طياتها تهديدا جعل المتلقي يشعر بالضيّق الشّديد، فهذه الأصوات الانفجارية الكائنة في ثنايا المقاطع المتوسطة المغلقة تدل على حكم جازم وأكيد، إنّه وميض النّهاية لمن كذّب وأعرض وتولى؛ ويمكننا الوقوف أيضا على قرائن الإمعان في العذاب والمتجلية في المقاطع الصوتية المتوسطة المفتوحة – **لى**- على سبيل المثال.

يعود الأسلوب القرآني في سورة النّجم إلى استخدام المقاطع الصوتية المتوسطة بنوعيها المغلقة، والمفتوحة عند مواضع الزّجر، التّهديد، الرّدع، والمرتبطة بالمواقف الصارمة الّتي لا تقبل الجدل كما في قول الحقّ :

" وَأَنَّهُ أَكْلَكَ عَادًا الأُولَى" - 50- " وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى" – 51- " وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى" – 52-، فقد ورد التّفصيل

المقطعي الصوتي لهذه الآيات منسجما مع أجواء التّهديد، والوّعيد السائدة فيها: - وَ - أَنْ – نَ – هُو – أَهْ – لَ - كَ- عَا – دَ – نِلْ – أُو – لَى – وَ – ثَ – مُو – دَنْ - فَ – مَا – أَبْ - قَى- وَ – قَوْ – مَ – نُو – حِنْ – مِنْ – قبْ - لُ - إِن – نَ – هُمْ – كَا – نُو – هُ - مُو – أَظْ - لَ – مَ - وَ - أَطْ – غَى-

فمن بين واحد وأربعين مقطعا صوتيا، خمس وعشرون منها متوسطة بنوعيها مغلقة (منوطة بدلالة الحصار)، ومفتوحة (ملازمة لاستمرار الرّدع الرّباني المنتقل بين الأقوام الضّالة عن السّبيل) حيث توّزعت المقاطع على النّحو التّالي:

جدوا رقم 02: إحصاء وتوزيع المقاطع الصوتية على أنماطها

أسهمت المقاطع الصوتية المغلقة – **أَنْ – دَنْ – أَبْ-**... في بث الخوف والرّهبة بغية دفع الإنسان إلى الاستقامة، ناهيك عن المقاطع المتوسطة المفتوحة – **مَا - قَى – لَى-** والّتي ترمز هي الأخرى إلى إشارات من الرّهبة والشّدة، بعدها تشدّنا لفظة " **فما** " المستعملة للنفي الحاسم للموقف حيث تحدد القدرة الإلهية بها جزاء الكفّار الّذي تنطق به مقاطعها الصوتية المشكلة من: مقطع صوتي قصير مفتوح (**فَ**)، ومقطع متوسط مفتوح (مَا)، ثمّ تليها لفظة (أَبْقَى) المشكلة من مقطع صوتي متوسط مغلق (**أَبْ**)، ومقطع صوتي متوسط مفتوح (**قَى**)، واللّفظة ككل انفجار مدوي صدحت به أصواتها الانفجارية الشديدة (**أَ – بْ – قَ**).

2.4 المقاطع الدّالة على حدّة الجدال:

نأى كفّار قريش عن الذّكر الحكيم رغم قيّام البرهان السّاطع عن صدق وحي السماء ومن الآيات الّتي فلّجت، وأحبطت تعنت المشركين قوله تعالى:

" إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهُمْ الهُدَى" النّجم – 23- .

البناء المقطعي الصوتي لهذه الآية:

إِنْ – هِ – يَ – إِلْ – لاَ – أَسْ – مَا – وُنْ – سَمْ – مَيْ – تُ – مُو- هَا – أَنْ – تُمْ- وَ - ءَا – بَا – وُ – كُمْ – مَا – أَنْ – زَ- لَلْ – لاَ – هُ – بِ – هَا – مِنِ – سُلْ – طَا – نِنْ – إِنْ – يَتْ – تَ – بِ – عُو – نَ – إِلْ – لَظْ – ظَنْ – نَ – وَ – مَا – تَهْ- وَلْ – أَنْ – فُ – سُ- وُ – لَ – قَدْ – جَا – ءَ – هُمْ – مِنْ – رَبْ – بِ- هُ – مُلْ – هُ – دَى-

جدول رقم 03:إحصاء وتوزيع المقاطع الصوتية على أنماطها

المقطع الصوتي	l0	l00	ll0
عدد تواتره	21	27	14

بلغ عدد مقاطع الآية الكريمة اثنين وستين مقطعا صوتيا، طغى عليها النّمط المتوسط المغلق، والنّمط القصير، حيث تجّهمت المقاطع الصوتيّة الواردة بهذا الشكل مراء المشركين فأوصدت مكابدتهم العقيمة بالمقاطع الصوتية المتوسطة المغلقة من طراز: - **إِنْ - إِسْ – إِلْ - لَظْ – ظَنْ - أَسْ – سَمْ- لَنْ...**، كذلك أردت المقاطع القصيرة أهواء المشركين، وتطاولهم

على آيات الله، فجعلت زمن الظّنون والأوهام ينخرم بسرعة، كما طرحت كلّ منسوب لمحكم التّنزيل عبر مقياس الثابت والمتحول.

ومن الآيات الأخرى الدّالة على الجدال العقيم قول الحّق تعالى:

" إِنَّ الّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ المَلاَئِكَةَ تَسمِيَةَ الأُنْثَى " النّجم – 27- " مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُنَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا " النّجم – 28-

التّشكيل المقطعي الصوتي:

-إِنَ – نَلِ – لَ- ذِي – نَ – لاَ – يُو – مِ – نُو – نَ – بِلْ – آأ – خِ – رَ – ةِ – لَ – يُ--سَمْ – مُو- نَلْ – مَ – لاَ – ئِ – كَ – ةَ – تَسْ – مِ – يَ- تَلْ – أُنْ – ثَى – مَا – لَ – هُمْ - بِ- هِي- مِنْ – عِلْ – مِنْ – إِنْ – يَتْ- تَ- بِ – عُو- نَ- إِلْ – لَظْ – ظَنْ – نَ – وَ- إِنْ – نَظْ – ظَنْ – نَ – لاَ- يُغْ – نِي – مِ- نَلْ – حَقْ – قِ – شَيْ – أَنْ-

جدول رقم 04:إحصاء وتوزيع المقاطع الصوتية على أنماطها

يعيد القرآن الكريم كركرة الصورة السّابقة الّتي تتجلى فيها المماراة السّخيفة، والحجج الزائغة عن طريق الحقّ بنفس التّشكيل المقطعي تقريبا، حيث زاد في عدد المقاطع الصوتية القصيرة بالنّسبة للآية السّابقة، وذلك نظير استناد الكفّار إلى مماراة واهنة تعدم الحجج الدّامغة.

3.4 المقاطع الدّالة على الرّحمة واللطف الرّباني:

قد لا يُغير القرآن الكريم – في سورة النّجم- نسيج مقاطعه الصوتية ولكن بترتيب وتركيب بارعين يُعبر عن وضعيات متزيّلة تماما لما سبقها من ذلك قول الحقّ جلّ علاه:

" الّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الاثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلاَّ اللّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَهَاتِكُمْ فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اِتَقَى" النّجم – 32-

التّشكيل المقطعي الصوتي:

-نَلْ – لَ – ذِي- نَ- يَجْ – تَ – نِ – بُو- نَ- كَ- بَا- ئِ- رَلْ- إِثْ- مِ – وَلْ – فَ- - وَا- حِ- شَ- إِلْ – لَلَ- لَ – مَ- مَ- إِنْ- نَ – رَبْ- بَ- كَ- وَا- سِ- عُلْ- مَغْ- فِ – رَ -ةِ- هُ- وَ – أَعْ- لَ – مُ- بِ – كُ- مُو – إِذْ- أَنْ – شَ- أَ – كُمْ- مِ- نَلْ- أَرْ – ضِ- وَ -إِذْ – أَنْ – تُ- مُو – أَ – جِنْ- نَ- ثُنْ- فِي – بُ – طُو- نِ- أُمْ- مَ- هَا- تِ- كُمْ- فَ -لاَ- تُ- زَكْ- كُو- أَنْ- فُ – سَ – كُمْ- هُ – وَ- أَعْ – لَ- مُ – بِ - مَ – نِتْ – تَ- قَى.

جدول رقم 05: إحصاء وتوزيع المقاطع الصوتية على أنماطها

تنبض هذه الآية بالرّحمة واللطف الرّباني على عباد الله الصالحين بحيث يشعر كلّ قارئ لها بدّفء وطمأنينة يسريان في شراييه، وهذا ما يجعل المتلقي يتفاعل مع المقاطع المتوسطة المغلفة المحددة لمنزلة الإنسان الوسطى بين المعصية، والإنابة، كذلك لا تني المقاطع المتوسطة المفتوحة عن بيان رحمة الله الّتي كتبها على نفسه فلم يغلق بابها يوما.

في حين لازمت المقاطع القصيرة دلالة التّحذير من كلّ ما يشين رحمة الله، أو يوُصد أبوابها ؟!.

4.4 المقاطع الدّالة على المصير ووصف الجزاء:

أزجت سورة النّجم المقاطع الصوتية إلى بيان الجزاء الذّي أعدّه الله عزّ وجلّ للمحسنين والمسيئين، حيث تجلى ذلك ضمن ثنائية ضدّية صدح بها قول الحقّ تعالى:

" وَ لِلّه مَا فِي السَمَاوَاتِ وَ مَا فِي الأَرضِ لِيَجْزِيَ الّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الّذِينَ أَحْسَنُوا بِالحُسْنَى " النّجم – 31-

التّشكيل المقطعي الصوتي:

-وَ- لِلْ- لاَ- هِ – مَا – فِسْ – سَ- مَا- وَا- تِ – وَ – مَا- فِلْ – أَرْ – ضِ – لِ – يَجْ – زِ -يَلْ – لَ – ذِي – نَ – أَ – سَا- ءُو- بِ – مَا – عَ- مِ – لُو – وَ- يَجْ- زِ – يَلْ- لَ- ذِي- نَ- أَحْ – سَ – نُو – بِلْ – حُسْ – نَى –

إنّها آية باعثة للفزع والرّعب في قلوب المجرمين، وفي الوقت ذاته تبث الرّضا في قلوب عباد الله المهتدين رأفة ورحمة بهم، وهذا ما جعلنا نقف على أشكال المقاطع الصوتية الآتية: المقاطع المتوسطة المفتوحة: جسّمت العقاب في مثل – سَا – ءُو -، فالمقطع الأول يحوي حرف السّين الصارخ، ليزيده المقطع الثّاني شدّة في الصراخ والهول والفزع.

ومن بين المقاطع الصوتية المتوسطة المفتوحة الدّالة على الثواب:- نُو- بجرس النون الغنائي العذب الباعث على الاسترخاء، والطمأنينة.

كما لا تبرح سورة النّجم عن استلهام الآيات الدّالة على المصير، ووصف الجزاء من ذلك قوله تعالى: " وَ أَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى" ، " وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى" ، " ثُمَّ يَجْزِيَّهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى" النّجم – 39 – 40 – 41 –

النّسيج المقطعي الصوتي:

-وَ – أَنْ – لَيْ - سَ – لِلْ – إِنْ – سَا – نِ – إِلْ – لاَ – مَا- سَ – عَى- وَ – أَنْ- نَ- سَعْ – يَ – هُو- سَو- فَ – يُ – رَى- ثُمْ – مَ – يَجْ – زِي- هُلْ – جَ- زَا- ءَلْ – أَوْ- فَى-.

جدول رقم 07:إحصاء وتوزيع المقاطع الصوتية على أنماطها

استهلت الآيات بمقاطع صوتية متوسطة مغلقة(سدّت مصادر الشّك ومواضعه)، كما سُبقت بمقطع قصير مشدود ببريق أمل، وهي على الشاكلة التّالية: وَ- أَنْ – وَ– أَنْ– ثُمْ-، فكان لغلق المقاطع صوت خفي له وقع خاص، وعنه وقع وعد الحقّ، ومع استمرار توالي المقاطع الصوتية نلمس مقاطع متوسطة مغلقة (لَيْ- سَعْ – سو – يَجْ -) دالة على أنّ سعي الإنسان وقف على نفسه و " سوف يرى ويجهر به سواء بالنسبة للمحسن أو المسيء"[27]، وبالإضافة إلى هذه المقاطع الصوتية المغلقة، هناك مقاطع صوتية متوسطة مفتوحة عبّرت عن النّعيم الهادئ الّذي تتعدد فيه وسائل الرّاحة منها: مَا – عَى – رَا- فَى -، وقد نجحت هذه المقاطع في جلوة الصورة إلى حدّ بعيد.

خاتمة:

أسفرت عملية تشريح المقاطع الصوتية عن أنّ الدّراسة الصوتيّة عموما هي اللّبنة الأساسية في أي دراسة تبتغي اكتناه الظلال الدّلالية، وإنتاج ما لانهاية من هزاهز المعاني، وهذا ما هالنا إلى تأكيد صحة فرضية التّناسب الطردي بين الصوت والمعنى.

كما خلُص البحث إلى جملة نتائج أخرى يمكن جلوتها في الآتي :

- ساد في سورة النّجم نوعان من المقاطع الصوتية :

القصير المفتوح من نوع – ص ح- والمتوسط بنوعيه مفتوح – ص ح ح-، ومغلق – ص ح ص – ذلك لأنّ ما توحي به هذه المقاطع من تهديد ووعيد، وزجر يتواءم مع التّرابط الصوتي، والإيقاع السّريع المنوط بقصر اللّحظة الزّمنية الّتي جعلت عملية النطق تلمع كالبّرق.

_ تعد المقاطع الصوتية المتواترة في سورة النّجم بمثابة وميض تصويري يرصد الأحداث رصدا حيا فتنم الصّور نابضة بالحياة، ومفعمة بمختلف الحالات الشعورية، والنّفسية.

الهوامش:

[1] منصور بن مُحَمَّد الغامدي: الصوتيات العربية، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، 2001، ص:06.

[2] الجاحظ: البيان والتبيين، ج1+ 2، تح: عبد السّلام مُحَمَّد هارون، ط3، مؤسسة الخانجي، القاهرة، مصر، د-ت، ص:170.

[3] ابن جني: الخصائص، ج2، تح: مُحَمَّد علي النّجار، ط؟، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1955، ص:148.

[4] ابن منظور: لسان العرب، ط؟، تح: مُحَمَّد لعلايلي، دار صادر، بيروت، لبنان، 1989، ص:220.

[5] كمال بشر: علم الأصوات، ط؟، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000، ص:504.

[6] المرجع نفسه، ص:505.

[7] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[8] صباح عطيوي عبود: المقطع الصوتي في العربية، ط1، الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ص:15.

[9] كمال بشر: علم الأصوات، ص:505.

[10] المرجع نفسه، ص:503.

[11] غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 2004، ص:192.

[12] صباح عطيوي عبود: المقطع الصوتي في العربية، ص:14.

[13] المرجع نفسه، ص:17.

[14] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[15] غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص:192.

[16] المرجع نفسه، ص:193.

[17] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[18] عبد الرحمان أيوب: أصوات اللغة، ط2، مطبعة الكيلاني، مصر، 1968، ص:141.

[19] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[20] أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي، ط؟، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1997، ص:302.

[21] المرجع نفسه، ص:308/307.

[22] عصام نور الدين: علم الأصوات اللغوية – الفونيتيكا- ط؟، دار الفكر اللبناني، لبنان، د-ت، ص:05.

[23] إبراهيم أنيس: الأصوات اللّغوية، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1975، ص:165.

[24] المرجع نفسه، ص:164.

[25] مُحَمَّد الطاهر بن عاشور: التّحرير والتّنوير، ج27، ط؟، الدر التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1984، ص:176.

[26] صبري المتلوي: دراسات في علم الأصوات، ط1، دار زهراء الشرق، مصر، 2000، ص:55.

[27] مُحَمَّد الطاهر بن عاشور: التّحرير والتّنوير، ج27، ص:139.